# المرأة في البناء الاجتماعي الإسلامي
# (دراسة تحليلية)

**م.د. أحمد جعفر صادق الأنصاري**
**جامعة الكوفة / كلية الآداب / قسم المجتمع المدني**

**المقدمة:**

تعد مسألة دور المرأة في المجتمعات البشرية من المواضيع التي أثارت الكثير من السجالات وهذه في الواقع ردة فعل طبيعية عن كل ما عانته المرأة من الاضطهاد والتهميش والتبعية للرجل بل إنها كانت ومازالت في بعض المجتمعات تباع وتشترى كسلعة من السلع وللأسف الشديد. من هنا تقع المسؤولية الكبيرة على الباحثين والمفكرين وعلماء الاجتماع والانثروبولوجيا والفلاسفة في كل مكان في التصدي لهذا النوع من الظلم الاجتماعي الذي يمارس هنا وهناك في مجتمعات مختلفة تحت مسوغات مزيفة فمنهم من يبرر هذه النظرة للمرأة بأنها أقل قدرة ذهنية من الرجل مما يجعلها نصف إنسان وليس إنساناً كاملاً، ومنهم من يبرر بأن الدين قد أعطى الحق على المرأة بالطاعة في جميع الأحوال حتى صار يتحكم في مصيرها حياتها وموتها، ونحن بدورنا كباحثين من خلفية ثقافية أسلامية رأينا أنه من واجبنا تسليط الضوء على أهم الأدوار الاجتماعية للمرأة ضمن البناء الاجتماعي الإسلامي وذلك من خلال إجراء دراسة علمية تحليلية لمجموعة من النصوص القرآنية والروايات المتواترة عن النبي (ص) وبالاستعانة بالنظرية البنائية الوظيفية في دراسة المجتمعات ودراسة الأدوار التي تؤديها المرأة في أربعة من أهم الأنظمة الاجتماعية

وهي النظام الرقابي والنظام التربوي والنظام السياسي والنظام الاقتصادي لغرض بيان حقيقة دور المرأة في البناء الاجتماعي الإسلامي، وانه لا يوجد في القران الكريم أو في السنة ما يعطي الحق لأي كان بامتهان المرأة أو التقليل من شأنها، ان الدين الإسلامي أعطى للمرأة ادوار لابد وان تتكامل مع ادوار الرجل بحيث لا يمكن لأي منها الاستغناء عن الأخر.

**مشكلة البحث**

تدور مشكلة البحث حول قضية المرأة ودورها الرئيسي داخل المجتمع وتحديداً داخل المجتمع الاسلامي لأن الأسلام من أكثر الأديان التي أعطت الأدوار المتعددة للمرأة وهذا ما أكدت عليه النظرية البنائية الوظيفية.

**أهداف البحث**

ان الهدف من هذا البحث هو بيان أدوار المرأة المختلفة التي تقوم بها وفي كافة النظم الاجتماعية والتربوية والاقتصادية والسياسية لكي نصل الى غاية هي أن البناء الاجتماعي الاسلامي لا يمكن ان يتكامل او يقوم دون أن تؤدي المرأة أدوارها الرئيسية داخل المجتمع.

**منهجية البحث**

اعتمد البحث على منهجية التحليل والمقارنة وذلك بتحليل أدوار المرأة داخل المجتمع الاسلامي ومقارنتها مع دور المرأة في مجتمعات أخرى.

**أولا – ما هو البناء الاجتماعي؟**

قبل الخوض في معرفة ما هو البناء الاجتماعي يمكننا قبل ذلك تعريف الدور وتمييزه عن مفهوم المركز. فإذا كان المركز: هو مجموعة سلوكيات يمكنه ان يتوقعها الفرد بصورة مشروعه من جانب الآخرين. فأن الدور هو نظام قواعد اجتماعية تتوجه نحو الفرد وحده ولذاته بصفته عضوا في جماعة أو ممثلا طائفة من الأفراد متميزين بسايكولوجية، فالدور ينطوي على مفهوم الاندماج في هيئة اجتماعية تعين له نشاطات أو وظائف ينبغي أداؤها [1].

وبصورة أدق يمكن تعريف الدور بأنه: تمتع الشخص بحقوق وتحمله مسؤوليات تحتم عليه أداء واجبات محددة بحكم إشغاله منزلة معينة لذا فالمنزلة مجموعة حقوق وواجبات والتمتع بالحقوق والواجبات هو الدور[2] . كما ان الدور يمثل الجانب

الحركي للمنزلة . أي هو مجموعة الاعمال التي يتوقع المجتمع من الشخص ان يقوم بها تجاه اشخاص آخرين في الاحوال الاعتيادية وفي حالات محددة لأنه يحتل بالنسبة لهم منازل اجتماعية معينة وللشخص أكثر من دور واحد في الوقت عينه في مجتمعه فقد يكون زوجاً او أباً إضافة الى دوره في عمله وعضويته في ناد او جمعية [٣].

بعد ان اتضح لنا حقيقة مفهوم الدور لما له من أهمية في بحثنا هذا نعود الى الخوض في معرفة ماهو البناء الاجتماعي؟ أن أول من حدد مفهوم هذا المصطلح هو رادكلف – براون فقد ذهب الى ان البناء الاجتماعي هو مجموعة العلائق الاجتماعية التي تربط كل أفراد المجتمع في فترة معينة ويحدد البناء الاجتماعي الأشكال التي يتجمع وفقاً لها أفراد المجتمع لتحقيق أغراض اجتماعية من جهة كما يحدد الروابط الاجتماعية التي تتمثل في سلوك الأفراد بعضهم حيال بعض وحيال جماعاتهم الاجتماعية من جهة اخرى ولذا فهو نوع من الترتيب المنظم للأجزاء والمكونات وتجديد واضح لسلوك الافراد وفق نظم اجتماعية ضمن شبكة من العلاقات الاجتماعية [٤].

وقد أختلف الانثروبولوجيون في تعريف اصطلاح البناء الاجتماعي فمنهم من يعرفه على أنه نسيج يتكون من العلاقات التي تربط بين أعضاء مجتمع ما وهذا النسيج يتكون من العلاقات التي تربط بين الجماعات الأساسية في مجتمع ما[٥]. يقول كسينج (يقصد بالبناء الاجتماعي النظم الاجتماعية التي عن طريقها تصل مجموعة من السكان الى حالة التكامل والترابط وهي الحالة اللازمة لتكوين المجتمع) ويعرفه ايفانز بريتشارد بأن (البناء الاجتماعي هو الجماعات الاجتماعية المستمرة في الوجود لوقت كاف تستطيع الاحتفاظ بكيانها كجماعات على الرغم من التغيرات التي تحدث للأفراد الذين يكونون تلك الجماعات).[٦]

فالبناء الاجتماعي من المفاهيم الأساسية في الدراسات الاجتماعية عامة والدراسات الانثروبولوجيا خاصة منذ أوائل القرن العشرين الى القيام بدراستهم الحقلية في المجتمعات الصغيرة الحجم القليلة

السكان نسبياً بوصفها وسيلة لفهم المجتمع الإنساني في عمومه.

أن الاتجاهات الوظيفية[٧] تعبر عن نموذج دراسي تم اشتقاقه عند استخدام المماثلة بين المجتمعات الإنسانية والكائنات البشرية وهو يركز على دوافع الفاعل – الإنسان- في الموقف وهو يعد نموذجاً ذاتياً إذ يفهم السلوك في نطاق معناه الذاتي عند الفاعل والأفراد من جهة البنائين الوظيفيين .فأذا أردنا أن نميز بين الوظيفية الغربية والوظيفية الاسلامية نرى أن الوظيفية الغربية ترى دور الدين هو ان يجعل الانسان قادراً على التكيف مع حقائق الوجود الانساني الذي يمتاز باللاتوقع والندرة كما أن هناك خاصية أخرى من خصائص الوجود الانساني هو: العجز حيث أن الانسان في أحوال كثيرة يرى أنه عاجزاً تماماً عن التوفيق بين متطلباته وواقعه الاقتصادي ولهذا فان وظيفة الدين في رأيهم هي جعل الانسان أكثر قدرة على التكيف مع العجز واللاتوقع والندرة. في حين ان الاسلام في نظريته الى الوظيفية في الدين مختلفة تماماً حيث أن الدين ليس أحد البناءات الهامة في اي مجتمع فقط فهذا المعنى يرى أن الدين ظاهرة اجتماعية نشأت من المعيشة في جماعة وبالتالي تستوي في أهميتها مع الظواهر الاجتماعية الاخرى. فعلم الاجتماع الاسلامي يرى ان الدين والشريعة هما أساس كل الأبنية الاجتماعية فالدين هو الضرورة الحتمية التي من أجلها خلقت الجماعة البشرية ولو أتبع لقضي على كل مظاهر الاضطراب والفوضى والعجز والندرة واللاتوقع[٨]

بعد توضيح ذلك يمكننا الآن ان نبين هل للمرأة دور داخل المجتمع؟ وما هي الحقوق التي تتمتع بها؟ وما هي الواجبات التي يجب أن تؤديها بوصفها فرد في المجتمع؟ ليمكننا ان نكون صورة كاملة عن دور المرأة في البناء الاجتماعي الإسلامي.

**ثانياً – منزلة المرأة قبل وبعد مجيء الإسلام**

قبل مجيء الإسلام كانت المرأة تعيش في المهانة والاضطهاد وسوء المعاملة فلا يتعامل معها الرجال كإنسان له حق الإنسانية فكانت العرب في الجاهلية ترث المرأة كما ترث السلع والممتلكات الأخرى ناهيك عن أتباع الديانات الأخرى

كاليهودية والمسيحية المحرفتين فقد اعتبروا المرأة شراً وشيطاناً يجب الحذر منه والابتعاد عنه[٩]. حتى الحكماء القدماء كأفلاطون وأرسطو فقد اتخذوا موقفاً سلبياً من المرأة فأفلاطون كان يصنف النساء في جمهوريته على أنهن ضرباً من الملكية الخاصة وأن الإسهام الطبيعي للمرأة هو المنزل بالدرجة الأولى أما أذا أرادت أن تشارك الرجل فإن عليها ان تكون رجلاً[١٠].

أما ارسطو فلم يكن أفضل من أستاذه إفلاطون في موقفه من المرأة فقد كان يستبعد المرأة تماماً من ميدان الثقافة والسياسة والحياة الفكرية ويجعل وظيفتها مقتصرة على الإنجاب فقط. فهو ينظر للمرأة على إنها أقل من حيث العقل والذكاء (حيث يغلب عليها الجانب اللاعقلي) وهي أدنى من حيث المرتبة والمكانة ومعزولة تماماً عن ميدان السياسة وعن ميدان الثقافة بصفة عامة كما انها غير قادرة على ممارسة فضائل الرجل الى أن يصل بها الى أنها في مرتبة وسط بين الرجل الحر وبين العبد الرقيق [١١].

إلا أن بعد مجيء الإسلام منحت المرأة كامل حقوقها السياسية والمدنية فلها الحق أن تشارك في العمل السياسي كالمشاركة في الأحزاب السياسية والمساهمة في الانتخابات وإبداء الرأي وتولي المهام والمسؤوليات كما من حقها ان تساهم في النشاطات المهنية والاجتماعية. وللمرأة في الإسلام حق التملك والتصرف بأموالها كالبيع والشراء والاتجار ولها حق العمل والتعلم وغير ذلك من الحقوق[١٢].

نجد إن المجتمع الاسلامي اختلف عن بقية المجتمعات الأخرى كونه يقوم على أسس يمكن إيجازها بالتالي:

١- احترام شخصية الإنسان و تكر يمه .

٢- الأواصر التي تربط أفراد المجتمع الإسلامي هي روابط عقيدية وروابط الأخوة في الله والولاء بين المؤمنين.

٣- المساواة بين أفراد المجتمع الإسلامي وعدم التفريق بينهم بسبب الجنس أو اللون أو اللغة ...الخ.

٤- مقياس التفاضل في المجتمع الإسلامي هو العمل والتقوى. والتقوى لا تعني العبادة وحدها بل يقصد بها كل عمل يخدم المجتمع

خدمة خيرة كنشر العلم وإنشاء مشاريع الإحسان ومحاربة الفساد السياسي والاجتماعي والأخلاقي.

٥- المجتمع الإسلامي مجتمع أخلاقي كالعطف والمحبة واحترام الآخرين.

٦- التوازن في الحقوق والواجبات بين الفرد والجماعة

٧- اعتبار الأسرة القاعدة الأساس في البناء الاجتماعي فهي في نظر الإسلام مؤسسة اجتماعية مقدسة [١٣].

٨- التشريع الاسلامي هو الاساس الضروري والمبرر للبناء الاجتماعي.

ان وحدة النوع الانساني تقتضي وحدة الوظيفة العامة للبشر ووحدة الدور الذي اعدوا له والهدف الذي وضع لهم والمصير الذي ينتهون إليه دون فرق بين ذكر وأنثى فليست مسؤولية المرأة أقل ولا أكثر ولا أصغر ولا أكبر من مسؤولية الرجل بل هما متساويان فيها. فالإسلام ينظر الى الرجل والمرأة على أنهما شيء واحد هو الإنسان وان هذا الإنسان جزآن متكاملان ولكنهما ليسا متساويين في التكوين والقدرات لذلك يستحيل ان يتساويا في الحقوق والواجبات مساواة كاملة لأن المساواة في اي شيء بين المختلفين نقص في العقل وظلم في الحكم وان من حكمة الباري تعالى انه لم يجعل الاختلاف بين الرجل والمرأة في التكوين الجسمي والنفسي اختلاف تضاد بل جعله اختلاف تكامل فطبيعة الرجل الجسمانية مكملة لطبيعة المرأة وكل منهما لا يستغنى عن الآخر ولذلك فدور المرأة مكمل لدور الرجل ووظيفتها لا تتعارض لوظيفة الرجل بل هي مكملة له . وإذا كنا نتكلم عن وظيفة المرأة بصفة خاصة فهذا يعني أن ننظر الى وظيفة كل جزء من أجزاء المجتمع ومدى تأديته للوظيفة التي خُلق من أجلها ثم ننظر الى كل جزء في ضوء علاقته بالآخر وعلاقته بالكل فعلى سبيل المثال اذا نظرنا الى النظام الاقتصادي فاءننا ننظر اليه كنظام كامل ثم ننظر اليه كجزء من كل أي الى علاقته بالنظام السياسي والأسري (القرابي)والنظام الاجتماعي في الجماعة الاسلامية ومدى تكامل تلك النظم للوصول الى الصورة المثلى للمجتمع الاسلامي[١٤]

**ثالثا-دور المرأة في النظام القرابي**

المقصود بالنظام القرابي: هو مجموعة من القواعد التي تحدد النسب والإرث والزواج والعلاقات الجنسية

وإقامة الأفراد والجماعات حسب روابط الصلات الرحمية والتحالفات الزواجية. غير ان الاختصاصين يشددون على ان رابطة الدم لا تعني العلاقة الحيوية (البايولوجية) بل هي تعني علاقة مجتمعية.(١٥)

ومن المعروف ان الأسرة هي النواة لكل مجتمع من المجتمعات وطبيعة تكوين هذه النواة (الأسرة) وطبيعة علاقتها بغيرها من مؤسسات المجتمع الاخرى تؤثر بشكل أساسي في تكوين طبيعة ذلك المجتمع ولا يمكن ان تكون الاسرة بدون اتحاد قطبيها وهما الرجل والمرأة المرتبطان برابط الزواج المقدس، من هنا يمكننا ان نتعرف على طبيعة دور المرأة في النظام القرابي حيث انه يمثل أحد أهم دورين في تكون الاسرة والتي هي المؤسسة الأهم في تركيب المجتمع فدور المرأة الزوجة في المجتمع الإسلامي دور رئيسي ومفصلي من حيث انها تمثل مصدر الهدوء والاطمئنان والسكينة في الأسرة المسلمة كما تشير الآية القرآنية في قوله تعالى: (**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**).(١٦)

ان في هذه الآية إشارة واضحة إلى الدور المهم الذي تؤديه المرأة داخل الأسرة هو من آياته سبحانه وتعالى التي خلقها لعباده كدليل وبرهان على قدرته التكوينية ان جعل المرأة بهذه الخصائص الفريدة، والتي صيرتها مصدر الحنان والمودة داخل الأسرة. ولو افترضنا ان المرأة توقفت عن ممارسة هذا الدور واستبدلته بدور اخر كدور الخشونة او القوة كما يحدث في بعض المجتمعات لظهر الخلل واضحاً في الحياة الاجتماعية للأسرة والمجتمع ولظهرت للأسف المشاكل الزوجية والتفكك الأسري وشاعت ظاهرة التشرد وجنوح الأحداث وانتشرت الجريمة وعم الفساد، كما يحدث في جسم الإنسان عندما يتوقف القلب عن النبض فأن ذلك سيؤدي الى توقف الدورة الدموية عن الحركة. هذه حقائق يمكن لنا ان نلمسها في المجتمعات البشرية بشكل واضح يومياً وليس من قبيل الخيال او التأملات، حيث أننا لو تتبعنا حالات الجريمة لوجدنا ان بعض الأفراد انزلقوا في التشرد والجنوح بسبب حالات

التفكك الأسري والتي تحدث بسبب توقف احد الوالدين عن أداء دوره داخل مؤسسة الأسرة، وربما لو توقف الرجل (الأب) عن أداء دوره داخل الأسرة فأن الخلل سيكون واضحاً ولكن ليس بنفس الدرجة من الخطورة عندما يتوقف دور المرأة (الام).

لقد أشار القرآن الكريم الى أدوار أخرى لا تقل أهمية عن الدور الأول للمرأة الا أنه يختلف عنه في الطبيعة وهو دورها خارج نطاق الأسرة او ما تعرف عند علماء الاجتماع بالأسرة النووية وضمن الأسرة الكبيرة او ما تعرف بالعشيرة والتي تعد من أهم مؤسسات النظام القرابي . قال تعالى (**يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهَّ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَّ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**)[١٧] في هذه الآية يبين القرآن الكريم ان من قواعد نشأة المجتمعات البشرية بأشكالها شعوباً وقبائل هي العلاقة التي تربط بين الرجل والمرأة . حيث أن دوام الحياة واستمرار النسل هو من نتائج هذه العلاقة هذا من حيث استمرار وجود الناس وان دوام العلاقات الاجتماعية بين هؤلاء الناس لكي يصدق عليهم ان تصبح شعوباً وقبائل من خلال علاقات المصاهرة الناتجة من حالات الزواج الخارجي والداخلي بين أبناء وبنات العوائل الصغيرة، حيث ان علاقات المصاهرة والنسب بين العوائل المختلفة تحدد من الأواصر التي تربط بينهم وأحيانا ما تمثل صمام الأمان في العلاقة بين القبائل وبين العوائل المختلفة. وبالرغم من سبق القرآن الكريم في الإشارة الى هذا الدور المهم والحيوي للمرأة في النظام القرابي، فأن هذه الحقيقة توصل اليها علماء الاجتماع حيث كان ليفي ستراوس قد شدد في أطروحته المنشورة عام ١٩٤٩م بعنوان القرابة في بناها الأولية على أهمية الزواج مكون للتحالف بين الجماعات وهو تحالف لم يكن من الممكن ان يحصل لولاه اي تعاون او مساعدة الأنظمة التي تظل الحماية المجتمعية فيها شأناً من شؤون الجماعة العائلية وانما يحصل الاتصال المجتمعي عندما يجري تبادل النساء بين العشائر والبطون، لذا فأنه يذكر بضرورة الزواج الخارجي اي من خارج الجماعة القرابية.

ان ضرورة هذا التحالف مع جماعة قرابية غريبة اي قاعدة الزواج الخارجي هذه قد حددت بليفي ستراوس لأن يجعل منها المسألة المركزية من كتابه وذلك عبر دراسته لمختلف أشكال الزواج في المجتمعات الصغيرة [١٨].

**رابعا-دور المرأة في النظام التربوي**

يبدأ دور المرأة في النظام التربوي الإسلامي منذ تنشئة الجنين في أحشاءها. فالجنين لا يتكون حتى تشقى المرأة في حمله لتسعة شهور ولا يبرز للوجود حتى تعاني الام الكثير في ولادته ولن يدب حتى تسهر هي على تربيته ولن يترعرع حتى نحدب هي على تدليله ولن يشتد عوده ولن تنشط مواهبه ولن تتزن طباعه حتى ينهل من أخلاقها ويرتوي من حنانها فهي تبذل جهوداً مضنية وجهوداً حيوية مادية ومعنوية كما في قوله تعالى :(**وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاَثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنْ الْمُسْلِمِينَ**)[١٩]لذلك نلاحظ الاهتمام الكبير من قبل الباري جل وعلا وتأكيده الشديد مراراً وتكراراً على بر الوالدين ولاسيما الأم أشارة الى الدور الكبير الذي تؤديه الام في تربية الأبناء والذين يكونوا بعد بلوغهم سن الرشد عماداً للمجتمع حيث أنهم سوف يتبوءون أدوارهم المختلفة في المؤسسات الاجتماعية التي سينتمون أليها بعد أن أخذوا من أسرتهم الكثير بواسطة عملية التنشئة الاجتماعية بدأً من تعلم نطق الأحرف الأولى وصولاً الى تعلم القيم والأخلاق والتقاليد والمعارف وغير ذلك من عناصر الثقافة فأن أكثر ما يؤثر في بناء شخصية الفرد هو ما يتلقاه من أسرته خلال السنوات الأولى من نموه وخصوصاً ما يتلقاه من الام كونها الأكثر قرباً .

أن من أهم الأدوار التربوية التي تؤديها المرأة سواء كانت أماً او معلمةً او موظفة او مسئولة هي ما تقدمه من إيحاءات إيجابية عندما تكون القدوة الحسنة لأبنائها وتلاميذها وزملائها وجميع الأفراد

الذين يعملون معها حيث لا يمكن ان يكون للدور الأول (التعليمي او التبليغي) أثره ما لم يكن مصحوباً بالدور الثاني وهو الدور الإيحائي فقد ضرب الله للمؤمنين في القرآن الكريم المثل بامرأة فرعون (**وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**)[٢٠]

وكذلك ضرب المثل للكافرين في امرأتا نوح ولوط كما في الآية (**ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَاِمْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنْ اللهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلاَ النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ** )[٢١]

وفي ذلك إشارة بأن القرآن الكريم مصدر التشريع الأول عند المسلمين يدعوا ويؤكد على أن للمرأة المؤمنة ان تؤدي دورها التربوي باستقلالية تامة دون تبعية للرجل ويمكن ان تكون نبراس وقدوة حسنة للمؤمنين (رجالاً ونساءً) حتى لو كان زوجها من الطغاة والكافرين، كما ان عليها ان تتحمل كامل المسؤولية على أعمالها لو انها اختارت ان تسير في طريق الضلالة وتترك طريق الهدى فأنها يمكن ان تكون المثل الأسوء حتى لو كان زوجها من أنبياء الصالحين.

**خامسا-دور المرأة في النظام الاقتصادي**

من المؤكد ان النظام الاقتصادي يمثل احد أهم الأنظمة الاجتماعية المكونة للبناء الاجتماعي لأي مجتمع من المجتمعات البشرية ومن ضمنها المجتمع الإسلامي ويتمثل النظام الاقتصادي من خلال ادوار رئيسة لابد ان تؤدي بشكل تكاملي لكي يظهر النظام الاقتصادي للمجتمع بالوضع السليم وهي الإنتاج والتوزيع والتبادل والاستهلاك.

فإنتاج السلع والمواد المختلفة التي يحتاج اليها أعضاء الجماعة ركن هام في النظام الاقتصادي، وفي هذا المجال نجد ان الدين الإسلامي قد فتح الباب واسعا أمام المرأة للعمل في الأعمال الإنتاجية المختلفة وأداء وجباتها العامة على الأمة والمجتمع وهي ما اصطلح الفقهاء على تسميتها ب(الواجبات الكفائية) وهي الإعمال التي تحتاجها في تحصين نفسها وتنمية قدراتها واستمرار تقدمها في مجالات الحياة العامة المتنوعة.[٢٢] لو أمعنا النظر في الكتاب والسنة فأننا لا

نجد ما يدل على عدم مشروعية العمل المهني في ذاته وبقطع النظر عن ملازماته للمرأة لنفسها أو للغير أجيرة أو متطوعة هذه الأدلة كثيرة منه قوله تعالى(**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**).[٢٣] ان الخطاب في قوله تعالى (جعل لكم، فامشوا) مطلق لعامة البشر رجالا ونساء والمشي في مناكب الأرض يراد منه العمل واستنباط الثروة ابتغاء رزق الله تعالى وهو يشمل جميع الأعمال المباحة في ذاتها التي لم يرد في الشريعة الإسلامية تحريم لها فالآية دالة على مشروعية عمل المرأة داخل المجتمع أما قوله تعالى (**اللهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**).[٢٤] هذا الخطاب كذلك موجه الى البشر جميعا رجالا ونساء وتسخيرها هو بمعنى جعل الأرض ذلولا وجعلها في متناول الإنسان للعمل فيها واستنباط الثروة منها لا بمعنى ان الرزق موضوع في تناول والإنسان يأخذه من غير عمل وكد. أذن هذه الآيات تدل دلالة واضحة على مشروعية عمل المرأة في المجتمع للحصول على الرزق لتكون ركيزة من ركائز النظام الاقتصادي في المجتمع.[٢٥]

ان استخدام فنون الصناعة والزراعة وغيرها من فنون الإنتاج لا يفي وحده لإقامة اقتصاد مجتمع، بل لابد من وضع التوزيع السليم للإنتاج في الاعتبار ولابد من إدارة صحيحة وسليمة لعمليات التبادل التجاري للفائض من الإنتاج، وفي هذا المجال فان التاريخ الإسلامي ينقل لنا الروايات المطلقة الواردة في التجارة والكسب وهي شاملة للرجل والمرأة على حد سواء فالسيدة أم المؤمنين خديجة (رض) زوج النبي (ص) كانت إحدى سيدات قريش التي اشتغلت في التجارة وكان نصف اقتصاد قريش من أموال خديجة(رض) فهي من كبار التجار آنذاك.هذه الرواية وغيرها تدل على ان الشريعة الإسلامية تقر مبدأ جواز عمل المرأة في مجال التبادل التجاري.

أما في مجال الاستهلاك فأن للمرأة المسلمة الدور البارز في إدارة الاستهلاك داخل الأسرة والتي هي نواة المجتمع وهي بذلك تمثل صمام الأمان الاقتصادي الذي يحافظ على

وتيرة الاستهلاك المتوازن مع الدخل وتجنب الإسراف والتبذير الذي نهى عنه الإسلام وقد نقل لنا التاريخ عن السيدة الزهراء (ع) زهدها وتحملها أعباء كثيرة دون ان تكلف الإمام أمير المؤمنين مصاريف أضافية أكثر من قدرته المالية.

من ذلك كله يتبين لنا حقيقة النظام الاسلامي كونه يختلف عن الانظمة الأخرى مثل النظام الشيوعي والنظام الرأسمالي. فالطابع العام للنظام الشيوعي هو افناء الفرد في المجتمع وجعله آلة مسخرة لتحقيق الموازين العامة التي يفترضها وهو على النقيض من النظام الرأسمالي الحر الذي يجعل المجتمع للفرد ويسخره لمصالحه فكأنه قد قدر للشخصية الفردية والشخصية الاجتماعية في عرف هذين النظامين ان تتصادما وتتصارعا[٢٦]

**سادسا-دور المرأة في النظام السياسي**

ان كلمة سياسية أو سياسي مشتقة من الكلمة الإغريقية القديمة Politicos والتي تعني المدينة على النحو الذي عرفه الإغريق. أي المدينة وضواحيها ومستعمراتها جغرافيا والسكان وأسلوب حياتهم والعلاقات القائمة بينهم.[٢٧]

وقد صارت بعد ذلك تعبيرا عن نمط الدولة والحكم وتدبر الأمور باستخدام القوة من خلال مؤسسات الحكم المتخصصة.

أما بالنسبة للمجتمعات التي كانت تفتقد لمؤسسات الحكم المعروفة (بلا دولة وبلا حكم) كانت تضم أشكالا من التنظيم ترمي الى إحلال النظام المجتمعي والحفاظ علية داخل إطار معين من الأراضي.[٢٨]

بالنسبة للمجتمع الإسلامي في فجر الإسلام فأنه كان من النوع الأخير والذي لا يحتوي على المؤسسات السياسية بالمعنى المتعارف عليه في الوقت الحاضر حيث كانت السلطة وإدارة أمور الحكم قد تحولت دوما من الزعامة القبلية الى الزعامة الدينية والمتمثلة في قيادة النبي (ص) للدولة الإسلامية وهذا الوضع جعل من الصعوبة بمكان ان يكون للمرأة دور بارز في النظام السياسي آنذاك وهذا راجع الى طبيعة الظرف المحيط بالمرأة في وقتها وليس بسبب عدم أهلية المرأة للمشاركة في السياسة أو معارضة الدين الإسلامي لذلك فأن الشواهد القرآنية على أهلية

المرأة للعمل السياسي موجودة في الكتاب الكريم كما في الآية (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَّ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمْ اللهُّ إِنَّ اللهَّ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[٢٩] وهنا إشارة واضحة على أن النساء المسلمات مكلفات كالرجال في تولي أمور المجتمع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وكذلك مكلفات في الطاعة والإذعان والقيادة الدينية والسياسية المتمثلة في طاعة الله ورسوله وأن الطاعة والإذعان هو في حد ذاته دور سياسي حيث أنه من المعروف ان النظام السياسي قائم على العلاقة بين القيادة والجماعة وهي علاقة سلطة معطاة للقائد لتفويض من الجماعة وبالمقابل إذعان والتزام من الجماعة لسلطة القيادة لكي تتمكن القيادة من ممارسة دورها السياسي في إدارة الحكم وتدبير شؤون الجماعة لذا فأن العمل السياسي لا ينحصر بدور القيادة فقط بل أنه يمتد بدور الجماهير الواعية للقوانين والحريصة على الالتزام بأساسيات المواطنة الصالحة كما ان النساء المسلمات كان لهن الدور السياسي في البيعة للرسول الأعظم (ص) وهو ما وردت الإشارة إليه في الآية الكريمة (يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لاَ يُشْرِكْنَ بِاللهَّ شَيْئًا وَلاَ يَسْرِقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَّ إِنَّ اللهَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ)[٣٠]. وفي الآية أمر واضح من العزيز الجليل إلى النبي (ص) وهو بمثابة رسالة إلى المجتمع الإسلامي بأن النساء يمثلن نصف المجتمع ولهن الحق في مبايعة الرسول (ص) وهو القائد السياسي للأمة آنذاك وان عليهن ان يلتزمن ذاتياً بما بايعن عليه دون ان يكون هناك رجل وصي عليهن ليبايع نيابة عنهن او ان يلزمن بالبيعة مكرهات . كذلك ورد في الروايات عن مبايعة النساء لأمير المؤمنين (ع) يوم بيعة الغدير.

هذا فضلاً عما هو معروف في تاريخنا الإسلامي من أدوار سياسية أدتها نساء مثل دور السيدة الزهراء (ع) بعد وفاة النبي (ص) إذ إن من الثابت أنها قامت بعمل سياسي قيادي تمثل في الاتصالات التي أجرتها

مع أشخاص بارزين من المهاجرين والأنصار تتعلق برئاسة الدولة بعد رسول(ص)[٣١].وكذلك الدور الكبير التي قامت به السيدة زينب (ع) أثناء وبعد ثورة الإمام الحسين (ع) حيث تفيد الكثير من الروايات ان السيدة زينب (ع) بعد عودتها الى المدينة أخذت تمارس دورها في توعية الناس الى حقيقة حكومة يزيد وكان دورها من أسباب تزعزع أركان تلك الحكومة وقيام الثورات ضدها في المدينة ومكة.

## مناقشة النتائج

بعد استعراض هذا العدد المنتخب من الأدوار الاجتماعية للمرأة ضمن أربعة من أهم النظم المكونة للبناء الاجتماعي الإسلامي يمكننا استنتاج ما يلي:

١. ان البناء الاجتماعي الإسلامي لا يمكن ان يتكامل من دون ان تؤدي المرأة أدوارها المختلفة وفي كافة النظم وضمن المؤسسات المكونة لهذه النظم.

٢. ان الأدوار التي تؤديها المرأة في البناء الاجتماعي الإسلامي لا تقل أهمية عن الأدوار التي يؤديها الرجل كما يصرح القرآن الكريم في الآية(**فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللهِ وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ**) وكما هو واضح من سياق هذه الآية الكريمة(**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**)

فهذا التأكيد على ذكر كل هذه الصفات للمؤمنين والمؤمنات بصيغة التذكر مرة والتأنيث مرة أخرى أنما يؤشر حقيقة ان لا فرق عند الله بين رجل وامرأة من حيث المنزلة الا بالتقوى فنظرة الإسلام الى الرجل والمرأة الى الإنسان الذي يتكون من جزأن متكاملان ولكنهما ليسا

متساويان في التكوين وان من حكمة الباري تعالى انه لم يجعل الاختلاف بين الرجل والمرأة في التكوين الجسمي والنفسي اختلاف تضاد بل جعله اختلاف تكامل فطبيعة الرجل الجسمية والنفسية والاجتماعية مكملة لطبيعة المرأة وكل منهما لا يستغني عن الاخر.

**الهوامش:**

١- د. صادق الاسود / علم الاجتماع السياسي / بغداد / ١٩٩٠ / ص١٢٠.
٢- شاكر مصطفى سليم / قاموس الانثروبولوجيا / ط١ / ١٩٨١ م/ الكويت / ص٨٢٩ .
٣- ايضاً/ ص٨٢٩ .
٤- ايضاً/ ص٩٠٢-٩٠٣ .
٥- محمد الخطيب / الانثروبولوجيا الاجتماعية / مطبعة دار علاء / دمشق / ط٢ / ٢٠٠٨م / ص٦٩ .
٦- ايضاً/ ص٦٩ .
٧- ترى المدرسة الوظيفية ان المجتمع نظام معقد تعمل شتى أجزائه سوياً لتحقيق الاستقرار والتضامن بين مكوناته ويرى الوظيفيون ومنهم دوركهايم بأن أجزاء المجتمع وأطرافه تعمل سوية وبصورة متناسقة كما تعمل أعضاء الجسم البشري لما فيه نفع المجتمع بمجمله فمثلاً دراسة أحد أعضاء الجسم كالقلب مثلاً علينا ان نبين ارتباطه بأعضاء الجسم الاخرى ووظائفه فإن تحليل الوظائف التي يقوم بها أحد مكونات المجتمع يتطلب من أن نبين الدور الذي تلعبه في استمرار وجود المجتمع ودوام عافيته .ينظر : انتوني غدنز / علم الاجتماع / ترجمة : د . فايز الصباغ / بيروت / ط٤ / ٢٠٠٥م / ص٧٤ .
٨- د. محمد علوان / مفهوم اسلامي جديد لعلم الاجتماع / ص٥٩-٦٠ .()
٩- هاشم الموسوي / النظام الاجتماعي في الإسلام / بيروت / ط١ / ١٩٩٢م / ص ٨٥.
١٠- د. إمام عبد الفتاح إمام / افلاطون والمرأة / القاهرة / ط٢ / ١٩٩٦م / ص٧١،٩٣ .
١١- د. إمام عبد الفتاح إمام / ارسطو والمرأة / القاهرة / ط١ / ١٩٩٦م / ص٧١، ٧٦ .
١٢- هاشم الموسوي / النظام الاجتماعي في الإسلام / ص٨٧ .
١٣- هاشم الموسوي / النظام الاجتماعي في الإسلام / ص٤٠ .
١٤- د. محمد علوان / مفهوم اسلامي جديد لعلم الاجتماع / ص٤٣ .()
١٥-جاك لومبار/ مدخل إلى الاثنولوجيا/ ت. حسن قبيسي/ بيروت/ ط١/ ١٩٩٧/ ص٩٩.
١٦-سورة الروم آية ٢١.
١٧- سورة الحجرات آية ١٣ .
١٨- جاك لومباز / المصدر السابق / ص٢٨٣-٢٨٤ .
١٩- سورة الاحقاف آية ١٥ .

٢٠- سورة التحريم آية ١١.
٢١-سورة التحريم آية ١٠.
٢٢-محمد مهدي شمس الدين/ حق العمل للمرأة/ بيروت /ط١/١٩٩٦/ ص١٨٣- ١٨٤.
٢٣-سورة الملك آية ١٥.
٢٤-سورة الجاثية آية ١٢.
٢٥-محمد مهدي شمس الدين/ المصدر السابق/ ص١٩٤-١٩٥.
٢٦- محمد باقر الصدر / فلسفتنا / دار التعارف / بيروت/ ط٢/ ١٩٩٨م/ ص٢٨.()
٢٧-صادق الاسود/ علم الاجتماع السياسي / ص ٣١.
٢٨-جاك لومبار / مدخل الى الاثنولوجيا / ص٨٦.
٢٩-سورة التوبة آية ٧١.
٣٠-سورة الممتحنة آية ١٢.
٣١- محمد مهدي شمس الدين / أهلية المرأة لتولي السلطة / بيروت / ط٣ / ٢٠٠١م / ص٣٧ وما بعدها.

## المصادر


القرآن الكريم
١. د. صادق الاسود / علم الاجتماع السياسي / بغداد / ١٩٩٠.
٢. شاكر مصطفى سليم / قاموس الانثروبولوجيا / ط١ / ١٩٨١ م/ الكويت.
٣. محمد الخطيب / الانثروبولوجيا الاجتماعية / مطبعة دار علاء / دمشق / ط٢ / ٢٠٠٨م.
٤. انتوني غدنز / علم الاجتماع / ترجمة : د. فايز الصباغ / بيروت / ط٤ / ٢٠٠٥م.
٥. هاشم الموسوي / النظام الاجتماعي في الإسلام / بيروت / ط١ / ١٩٩٢م.
٦. د. إمام عبد الفتاح إمام / افلاطون والمرأة / القاهرة / ط٢ / ١٩٩٦م.
٧. د. إمام عبد الفتاح إمام / ارسطو والمرأة / القاهرة / ط١ / ١٩٩٦م.
٨. جاك لومبار/ مدخل إلى الاثنولوجيا/ ت. حسن قبيسي/ بيروت/ ط١/ ١٩٩٧.
٩. محمد مهدي شمس الدين/ حق العمل للمرأة/ بيروت /ط١/١٩٩٦.
١٠. محمد مهدي شمس الدين / أهلية المرأة لتولي السلطة / بيروت / ط٣ / ٢٠٠١م.
١١. محمد باقر الصدر/ فلسفتنا/ دار التعارف/ بيروت/ ١٩٩٨م.
١٢. د. محمد علوان/ مفهوم اسلامي جديد لعلم الاجتماع

**Abstract**

**The Women in the Islamic Social structure**

This research deals with the issue of women and her main role in society, especially in the Islamic society because Islam is the religion that gives the most progressed roles for women. Islam does not restrict women role to the house and the family, yet her roles, within society, were varied in order to indicate that the Islamic social structure is integrated by the women roles on the educational and political levels and so on…..

حولية المنبر